كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم علم النفس وعلوم التربية
المستوى : السنة الأولى ماستر
تخصص : علم النفس العيادي
مقياس : علم نفس الاجرام

المحاضرة الثالثة : النظريات المفسرة للسلوك الاجرامي : النظريات المعرفية- السلوكية (نظريات التعلم، النظريات المعرفية)

أهداف المحاضرة :

- توضيح الأسس النفسية للجريمة : من خلال التعرف على كيفية تفسير النظريات المعرفية والسلوكية للجريمة .
- فهم دور الخبرات المكبرة والبيئة من خلال معرفة دور التنشئة الاجتماعية ، النماذج الاجتماعية في تحليل وتفسير السلوك الاجرامي .
- معرفة كيفية استخدام النظريات المعرفية والسلوكية في تفسير وتحليل الجريمة.

تمهيد

يرى احد الاتجاهات المهمة في علم النفس ان السلوك الاجرامي شأنه شأن سائر السلوكيات هو سلوك متعلم ، ولعل اشهر الرواد في نظرية التعلم السلوكي واحد القلائل أصحاب التجارب النفسية التي سمع بها معظم الناس هو ايفان بافلوف (1849-1936) فقد بين عمله الحائز على جائزة نوبل كيف يمكن تعديل السلوك وفي هذه الحالة المنعكسات من خلال الخبرة.

انطلاقا من نظريات الاشتراط الكلاسيكي وما تلاها سعى علماء النفس وغيرهم الى تفسير السلوك الإنساني بوصفه نتيجة للتفاعل بين الفرد والعالم الذي يعيش فيه ، وترى نظريات التعلم الحديثة ان السلوك هو حصيلة الاحتكاك بالاخرين ، لا سيما عبر مصادر التنشئة الاجتماعية الأولية مثل الاسرة وجماعات الرفاق.

أولا : النظريات السلوكية في تفسير الجريمة

1-الارتباط التفاضلي

يكمن في صميم نظرية سذرلاند ان السلوك يتعلم من خلال الاحتكاك بالمعايير الاجتماعية ، وبالتالي فان طبيعة السلوك الفرد تتأثر بالمعايير السائدة في الجماعات التي ينتمي اليها ، وكذلك أعضاء الجماعات الأخرى الذي يحتك بهم بانتظام ومن خلال التعلم والمحاكاة يسهم هذا الاحتكاك في تشكيل السلوك الفردي وصياغته.

وتشمل معايير الجماعة المواقف تجاه القانون وانتهاكه وقد افترض سذرلاند في نظريته ان السلوك يتأثر بالتوزان القائم في تفاعلات الفرد بين الاتصال بمواقف مؤيدة للسلوك المقبول اجتماعيا ومواقف مؤيدة للانحراف.

يتضح ان هذه النظرية لا يمكن تصنيفها ببساطة على انها نظرية نفسية خالصة ، فقد كان سذرلاند عالم اجتماع واحد الشحصيات البارزة في مدرسة شيكاغو.

غير ان هذه النظرية تضمنت عوامل فردية واجتماعية معا ، ولذلك تكمن أهمية النظرية في المحاولات التي قام بها من خلال هذه النظرية لدمج جوانب نفسية وسوسيولوجية من اجل فهم السلوك الاجرامي.

ان "ان يصبح الفرد منحرفا " عند ادوين هو بالتالي عملية عادية الى حد كبير ، تنطوي على تعلم اتجاهات وقيم تؤثر في الاخيارات بالطريقة نفسها التي تتعلم بها جميع السلوكيات الأخرى ويشير مصلطح الارتباط التفاضلي تحديدا الى العنصرين المركزيين في النظرية : ان السلوك الاجرامي متعلم ، وانه يتعلم في سياق الارتباط بالاخرين (وليس بالضرورة بأشخاص منخرطين هم انفسهم في الجريمة) ، بحيث تعكس ما يتعلم توزان التعريفات المؤديدة للجريمة او غير المؤيدة لخرق القانون.

اهم الانتقادات الموجهة للنظرية

وقد تعرضت هذه النظرية لانتقادات مستمرة ومن بين هذه الانتقادات التساؤل عن سبب اختيار بعض الافراد الانحراف في ظروف تبدو متشابهة حيث يفترض انهم خاضعون لتوزان مماثل من التعريفات في حين لا يختار اخرون ذلك.

اما الفكرة التي فضلها ادوين والقائلة بإمكانية قياس او كم التعريفات او القيم المؤيدة للجريمة او المناهضة لها التي يتعرض لها الافراد فهي تكاد تكون مستحيلة التطبيق عمليا ، حتى لو ابدى احد رغبة في المحاولة.

وبالمحنى نفسه ، أشار اخرون الى صعوبة التمييز داخل نظرية سذلارند بين كمية التعريفات المؤيدة لمسارات فعل معينة وبين نوعيتها او قوتها او تأثيرها ، وبعبارة أخرى اليس من الممكن ان تطغى اراء ووجهات نظر شخص او شخصين ذوي نفوذ او تأثير قوي على اراء عدد كبير من الأشخاص الأقل تأثيرا ؟

2- التعلم الاجرائي (التعلم الشرطي)

تشكل مبادئ التعلم الاجرائي الأساس لما اصبح يعرف في علم النفس باسم المدرسة السلوكية ، ويرتبط هذا الاجراء ارتباطا وثيقا بأعمال عالم النفس الأمريكي **فريديريك سكينر** الذي درس كيف تؤثر نتائج او عواقب أفعال معينة في تشكيل السلوك المستقبلي.

في صميم نظرية التعلم الاجرائي تكمن فكرة تبدو بسيطة ظاهريا ، مفادها ان السلوك الذي تترتب عليه نتائج ينظر اليه على انها مرغوبة يميل الى الازدياد في التكرار في حين ان السلوك الذي يؤدي الى نتائج غير مرغوبة يميل الى الانخفاض ، فالسلوك الأول قد تم تعزيزه بينما ، يكون التالي قد تعرض للعقاب ، وفي جوهر نظرية سكينر توجد ثلاث عناصر اوما يعرف ب **ABC السلوكية** التي تمثل في السوابق **antecedents** تمهد او تستثير السلوك **behavior**المعين وهذا السلوك بدوره ينتج نتائج **Consequences**.

وهناك نوعان من التعزيز ونوعان من العقاب :

التعزيزالإيجابي : ينتج نتائج متكافئة مما يشجع على تكرار السلوك نفسه في المستقبل.

التعزيزالسلبي: يشجع أيضا على تكرار السلوك ولكن من خلال إزالة نتائج غير مرغوبة او مزعجة

اما العقاب فيؤدي الى انخفاض تكرار أنماط معينة من السلوك وذلك اما :

عقابا إيجابيا عبر احداث نتائج سلبية

عقابا سلبيا من خلال حرمان الفرد من هدف او مكافأة مرغوبة.

ويرتبط هذا الاطار النظري بأعمال عالم النفس الأمريكي سكينر ضمن المدرسة السلوكية.

الان ، يجب ان يكون واضحا لماذا تدرج مثل هذه الأفكار تحت عنوان الإيجابية النفسية ، في نظرية التعلم الاجرائي يشكل السلوك أساسا بواسطة عوامل خارجية عن الفرد ، عوامل يمكن تحديدها وقياسها وبالتالي يمكن التعامل معها كأسباب لانواع محددة من السلوك .

يمكن العثور على تعديل لنظرية التعلم الاجرائي في اعمال **جيفري** حول **التعزيز التفريقي** ، فابستخدام نظرية التعلم الاجرائي لتكييف أفكار سذلارد حول الارتباط التفريفي جادل جيفري بان السلوك الاجرامي يكتسب نتيجة للعواقب المعززة لسلوكيات معينة.

وبالتالي تصبح تاريخية التعلم الفردية ضرورية لفهم قرارات الشخص فيما يتعلم بالجريمة (سواء الانخراط في النشاط الاجرامي ام لا) ، فقد يكون للجريمة عدد من الفوائد الى جانب النتائج السلبية ، وبشكل رئيسي يجب النظر الى توزان المكافأت والعقوبات الخاصة عند محاولة تفسير أنماط ارتكاب الجرائم.

تنص نظرية **التعزيز التفريقي** على ان الفعل الاجرامي يحدث في بيئة يكون فيها الفاعل قد تم تعزيزه مسبقا على التصرف بهذه الطريقة وان العواقب السلبية المرتبطة بالسلوك تكون من طبيعة لا تتحكم في الاستجابة او تمنعها.

3- التعلم الاجتماعي

ظهرت نظرية التعلم الاجتماعي في سبعينات القرن الماضي ، كنتيجة لدمج نظريتين كانتا الى حد كبير منفصلتين حتى ذلك الحين / السلوكية (سعت الى تحويل علم النفس الى علم صلب وموضوعي والتي يقال انها مسؤولة عن العديد من التحفظات التي وعلم النفس المعرفي.

ويبدو ان التواصل بين السلوكيين وعلماء النفس المعرفي كان قليلا نسبيا .

اظهر ظهور نظرية التعلم الاجتماعي واعمال **البرت باندورا** وزملائه كيف يمكن الجمع بين الاتجاهين بطرق معينة ، اذ تجمع نظرية التعلم الاجتماعي بين فكرة ان التعلم بالملاحظة والتكييف المباشر كلاهما مهم لفهم السلوك البشري.

ومن مثل هذه التركيبات ظهرت مجموعة جديدة من التدخلات تعرف باسم العلاجات السلوكية المعرفية Cognitive Behavioral Therapies

هناك ثلاث مفاهيم نفسية مترابطة تقع في صميم نظرية التعلم الاجتماعي : التعلم ، الاجتماعي ، الادراك ، حيث يشير مصطلح التعلم الى احد العناصر المهمة في النظرية هو الافتراض بأن العديد من الأمور التي يقوم بها البشر مكتسبة من خلال التعلم ، بما في ذلك الوظائف الأساسية التي تبدو جسدية بحتة ، ومع ذلك وعلى عكس معظم الأنواع الأخرى يحدث هذا التعلم في سياق اجتماعي.

اما الفرق الحاسم بين البشر والانواع الأخرى فهو بلا شك الطبيعة المعقدة للدماغ البشري ، وهو أساس وعينا وعملية الادراك والعمليات الأخرى مثل الفهم والتخيل والحلم ، وتعرف هذه العمليات باسم الادراك.

يتفق معظم العلماء ان الادراك هو محاولة فهم العالم من حولنا من خلال تفسير المعلومات القادمة من الحواس الى الدماغ البشري والفهم هنا ينطوي على التفسير والترميز والتحليل والتخزين والاستجابة الخارجية عند الحاجة.

الفرق الجوهري بين نظرية التعلم الاجرائي ونظرية التعلم الاجتماعي هو انه بينما تؤكد الأولى على أهمية البيئة مثل التعزيزات والعقوبات الاجتماعية ترى الثانية انه من الممكن أيضا التعلم المعرفي من خلال ملاحظة السلوك الاخرين وهو ما اطلق عليه باندورا **النماذج**.

وقد وصفت واحدة من اشهر دراسات باندورا ففي ما اصبح يعرف باسم دراسة دمية بوبو سعى باندورا الى فحص وقياس اثر مشاهدة صور مصورة للسلوك العدواني على الأطفال وقد أصبحت هذه الدراسة واحدة من اشهر التجارب في ميدان تأثيرات وسائل الاعلام وهي تجسد جوانب من نظرية التعلم الاجتماعي لدى باندورا .

ويرى **ماكغواير** ان أهمية ذلك بالنسبة الى علم الاجرام تتمثل في انه يساعد على فهم العمليات والفروق الفردية فالاحداث النفسية الداخلية تشارك في جميع اشكال السلوك ، بما في ذلك السلوك الاجرامي وبعبارة أخرى فان احداث الجريمة تتكون من أفعال فردية او تكون نتيجة لها وهي أفعال ترتبط بأنشطة أخرى مثل الأفكار والمشاعر والاتجاهات او التفاعلات بين الافراد وعلاوة على ذلك ، يقترح ان فئات الجريمة المختلفة يمكن وضعها على متصل (استمرارية) يرتبط بدرجة اسهام الفروق الفردية في حدوثها .

لقد استخدمت صيغة من هذا المنظور في دراسة الجريمة على يد **رون اكرز** ومن هذا المنطلق ، ينظر الى السلوك الاجرامي بوصفه نتيجة اما للاشتراط الاجرائي (التعزيز والعقاب) او للمحاكاة والتقليد ويحدث هذا التقليد او النمذجة ذاخل الاسرة وجماعة الرفاق وغيرها ، وكذلك من خلال وسائل الاعلام وسائر المصادر الثقافية للمعلومات ، كماان الاستجابة الاجتماعية للسلوك الاجرامي تبعا لطبيعتها قد تعزز هذا السلوك سلبا او إيجابا شأنها في ذلك شأن الأثر الذي يتركه السلوك في مشاعر الفرد المتعلقة بالفخر وتقدير الذات

وقد دفع ذلك بورغس واكيرز الى مراجعة مجموعة الفروض التي وضعها سذرلاند بشأن السلوك الاجرامي :

1-يتعلم السلوك الاجرامي وفقا لمبادئ الاشتراط الاجرائي (التعزيز / العقاب)

2- يتعلم السلوك الاجرامي في المواقف غير الاجتماعية التي تتضمن مثيرات معززة او مميزة ، كما يتعلم من خلال التفاعل الاجتماعي الذي يكون فيه سلوك الاخرين معززا او مميزا للسلوك الاجرامي

3- يحدث الجزء الرئيس من تعلم السلوك الاجرامي بما في ذلك التقنيات والاتجاهات وإجراءات التفادي هو دالة في المعززات الفعالة والمتاحة وفي أنماط التعزيز القائمة .

4- ان الفئة المحددة من السلوكيات التي يتم تعلمها ، وكذلك معدل تكرارها تتحدد وفقا لطبيعة المعززات الفعالة والمتاحة ووفقا للقواعد او المعايير التي تطبق بها هذه القرارات .

5- ان الفئة المحددة من السلوكيات التي يتم تعلمها وكذلك معدل تكرارها تتحدد وفقا لطبيعة المعززات الفعالة والمتاحة ووفقا للقواعد او المعايير التي تطبق بها هذه القرارات.

6- السلوك الاجرامي هو دالة في المعايير التي تميز السلوك الاجرامي ، ويتم تعلم هذه المعايير عندما يكون هذا السلوك اكثر تعزيزا من السلوك غير الاجرامي.

7- تتحدد قوة السلوك الاجرامي مباشرة بمقدار التعزيز الذي يتلقاه ، وتكراره واحتمال حدوثه.

وتعتمد هذه التفاعلات على المعايير ، الاتجاهات والتوجهات.

يصف هولين مقاربة اكيرز بأنها النظرية السائدة الأكثر اكتمالا من الناحية النفسية في علم الاجرام ، وينقل عن **اكيرز** قوله ان الصيغة السلوكية الكاملة في نظرية التعلم الاجتماعي تشمل كلا من العقاب الإيجابي والعقاب السلبي ، وكذلك التعزيز الإيجابي والتعزيز السلبي ، كما تشمل جداول التعزيز ، المحاكاة ، الارتباطات ، التعريفات المعيارية (الاتجاهات التبريرات) والمثيرات التمييزية ومتغيرات أخرى تتعلق بكل من اسلوك الاجرامي والسلوك الملتزم بالقواعد.

وفي الآونة الأخيرة قام **رون اكيرز** بمراجعة مقاربته النظرية مرة أخرى ، وطرح ما اسماه نموذج **التعلم الاجتماعي والبنية الاجتماعية للجريمة** ، ويقر هذا النموذج كما يرى بالدور المهم للبنى الاجتماعية في تحديد السلوكيات الاجرامية لكنه يجادل بأن تأثير البنى يتم عبر وساطة عمليات التعلم الاجتماعي.

ويحدد اربع ابعاد للبنية الاجتماعية توفر السياق الذي يحدث فيه التعلم :

التنظيم الاجتماعي التفاضلي : الجوانب المرتبطة بالمجتمع المحلي مثل العمر ، الكثافة السكانية وغيرها التي تؤثر في معدلات الجريمة.

الموقع التفاضلي في البنية الاجتماعية : الخصائص الاجتماعية والديموغرافية التي تحدد المكانة الاجتماعية للافراد .

المتغيرات البنوية المعرفة نظريا : مثل التفكك الاجتماعي ، الانوميا ، علاقات الطبقة ، النظام الابوي وغيرها من المفاهيم النظرية.

الموقع الاجتماعي التفاضلي : أي انتماء الافراد الى الاسرة ، جماعات الاقران وغيرها من الجماعات المحلية.

وقد أدى هذا التوسع في نظرية التعلم الاجرامي عبر الزمن الى ان يقترح اكيرز انها تطورت من منظور يركز على الاليات السلوكية الاجتماعية العاملة في تفسير الفروق الفردية في السلوك (سواء كان ملتزما بالقواعد ام منتهكا لها) الى منظور يتناول الظروف البنوية والثقافية التي تشكل جداول التعزيز والعقاب داخل المجتمعات وكذلك التباينات الزمانية والمكانية في معدلات الجريمة.

ثانيا : النظريات المعرفية في تفسير الجريمة

لقد راينا بالفعل على سبيل المثال كيف تسعى نظرية رون اكيرز الى اخذ الادراك الإنساني وفي ابسط معانيه ،: التفكير بعين الاعتبار ضمن عملية التعلم الاجتماعي ، وهناك عدد من المقاربات النظرية داخل علم النفس تركز بصورة أساسية على العلاقة بين الادراك والجريمة ومرة أخرى فان مثل هذه الأفكار ترتبط ارتباطا وثيقا.

1- يوشلسون وسامينو

استنادا الى بحوث أجريت على ذكور جانحين ، كان بعضه من الاحداث الذين جرى التعرف اليهم عبر عيادات مجتمعية لكن الغالبية كانوا راشدين اودعوا المستشفيات لاجراء تقييم نفسي ، زعم ساموبل يوشلسون ، وستانتون سامينو انهما حددا أنماط التفكير التي في رأيهما تميز جميع المجرمين.
وفي صميم دراستها المعنونة **the criminal personality** تكمن فكرة مفادها ان هناك عددا من الأنماط التفكير المعيبة القابلة للتحديد وهي شائعة بين المجرمين ، ويريان ان ما يحول الشخص الى مجرم هو سلسلة من الاخيارات التي يتخذها من مرحلة مبكرة من حياته ، فبينما معظم الناس يكون قادرين على اتخاذ قرارات عقلانية ، تتسم الشخصية الاجرامية بمجموعة من الأخطاء التفكير.
ويقدر عدد هذه الأخطاء بما بين 40-50 خطأ ويمكن تصنيفها في ثلاث فئات موضحة في الجدول التالي :

سمات الشخصية	الأخطاء التلقائية في التفكير	أخطاء ترتبط بالفعل الاجرامي
1- نزعة دائمة الى الشعور بالخوف . 2- مشاعر انعدام القيمة 3- الحاجة الى السيطرة والسلطة . 4- السعي نحو الكمالية . 5- الحاجة الى الاثارة الجنسية الكذب	1- ضعف القدرة على اتخاذ القرارات . 2- عدم الثقة بالاخرين . 3- التكتم . 4- الفشل في تحمل المسؤوليات 5- الفشل في فهم مواقف الاخرين .	1- تخيلات بأفعال معادية للمجتمع 2- ضعف الضوابط الذاتية 3- التفاؤل المفرط

اهم الانتقادات الموجهة للنظرية

يمكن تحديد ثلاث نواقص محتملة على الأقل في نظرية الشخصية :

1- تعريف الجريمة محمل بالقيم ، ويستند أساسا الى تمييز ذاتي بين من ينظر اليهم على انهم يتصؤفون بمسؤولية والمجرمين الذين يعاملون فعليا كما لو كانوا فئة مخلتفة.

2- لم يبذل أي محاولة لاثبات ان أخطاء التفكير التي يدعيان اكتشافها لدى المجرمين لا يتركبها غيرهم أيضا ، فلم تكن هناك على سبيل المثال مجموعة مقارنة او مجموعة ضابطة.

3- ان العينة التي اعتمد عليها غير ممثلة (عدد كبير من الافراد الذي كانوا في مؤسسات بعد الحكم عليهم غير مذنبين بسبب الجنون) ومع ذلك جرى تعميم نتائجهما على مجتمع الجانحين على نطاق أوسع.

2- كولبرغ ...التطور الأخلاقي والجريمة

حدد لورانس كولبرغ مجموعة من المستويات والمراحل للتطور الأخلاقي ، فقد عرف كولبرغ ثلاث مستويات وست مراحل للتطور الأخلاقي .

يمثل كل من هذه المستويات الثلاثة علاقة متغيرة بين الذات والمجتمع ، حيث يميز المستوى الأول الأطفال قبل سن المراهقة ، ويصل المستوى الثاني اليه معظم البالغين ، بينما يصل المستوى الثالث اقلية فقط من البالغين ، ويعتمد الانتقال من مرحلة الى مرحلة على التطور المعرفي .

والمنظورات المميزة للمراحل المختلفة هي كما يلي :

المرحلة 01: معينة بكيفية ارتباط الذات بالشخصيات السلطوية المتصورة.

المرحلة 02 : تفهم المصالح الشخصية في العلاقة بمصالح الاخرين .

المرحلة 03: يفهم السلوك باعتباره جزءا من شبكة من العلاقات الأخرى.

المرحلة 04 : تنطوي على فهم النظام الاجتماعي الاوسع .

المراحل 05 ، 06 : تتعلق بفهم المبادئ الأخلاقية الكامنة وراء السلوكيات .

باختصار ، الحجة هنا هي ان العلاقة بين الفرد والقواعد والمعايير الاجتماعية تختلف تبعا للمرحلة التي وصل اليها الفرد في تفكيره الأخلاقي :

ما قبل التقليدي : ترى القواعد والتوقعات الاجتماعية على انها خارجة على الشخص .

التقليدي : تستوعب القواعد والتوقعات داخليا وتصبح جزءا من الذات .

ما بعد التقليدي : يتم التمييز بين الذات والقواعد والتوقعات الاجتماعية ويعرف الفرد قيمه الخاصة باستخدام اختيارات مستمدة من المبادئ الأخلاقية العامة.

يمكن تطبيق نظرية كولبرغ على دراسة الجنوح ، فالسلوك الاجرامي من هذا المنظور مرتبط بتطور أخلاقي اقل نضجا ، ويرجح ان يظهر الجانحون تفكيرا أخلاقيا ما قبل تقليدي وفقا لمراحل كولبرغ والتداعي المنطقي لذلك هو ان القدرة المحدودة على التفكير الأخلاقي المعقد تحد من اتخاذ القرارات الفردية ومع عوامل أخرى تجعل خرق القواعد اكثر احتمالا.

ركز كولبرغ على التفكير الأخلاقي وليس السلوك الأخلاقي ومن بين القيود المحتملة لنظريته السؤال عما اذا كان هناك رابط قوي بين التفكير والسلوك بمعنى أخر ممن الممكن نظريا ان يكون الشخص قادرا على التفكير بفعالية عالية على المستوى التجريدي ومع ذلك يتصرف وفق مبادئ مختلفة في الواقع.

ومع ذلك رغم ان نظرية كولبرغ لم تكن من الناحية الصارمة نظرية للسلوك الاجرامي الا ان هناك دعما تجيربيا لفكرة ان التطور الأخلاقي الناقص مرتبط بالسلوك الاجرامي ومع ذلك ليست هذه نتيجة ثابتة في جميع الأحوال ولا تزال هناك شكوك حول ما اذا كان التفكير الأخلاقي يمكن ان يكون تفسيرا محتملا للجريمة ام مجرد احد عدة عوامل من المهم اخذها في الاعتبار.